مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٧: ٧–١٧)

يا إخوةُ إنَّهُ ممَّا لا خِلافَ فيه أنَّ الأصغرَ يأخُذُ البركَةَ من الأكبر* وههنا إنمَّا يأخُذُ العشورَ أُناسٌ يَموتون. فأمَّا هناكَ فالمشهودُ لهُ بأنَّهُ حيٌّ* فيسوغُ أن يُقال إنَّ لاويَ نفسَهُ الذي يأخُذُ العشورَ قد أدَّى العشورَ بإبرهيم* لأنَّهُ كانَ في صُلبِ أبيهِ حينَ التقاهُ ملكيصادق* ولو كان بالكهنوتِ اللاويِّ كمالٌ (فإنَّ الشعبَ عليهِ قد أخذَ الناموس) إذاً أيَّةُ حاجة كانت بعدُ أن يقومَ كاهنٌ آخرُ على رتبةِ ملكيصادق. ولم يُقَلْ على رتبةِ هرون* لأنَّهُ متى تحوَّلَ الكهنوتُ فلا بدَّ من تَحوُّلِ الناموسِ أيضًا* والحالُ إنَّ الذي يُقالُ هذا فيهِ إنَّما كان مشتركًا في سِبطٍ آخَرَ لم يلازمْ أحدٌ منهُ المذبَح* لأنَّه من الواضحِ أنَّ ربَّنا طلَعَ من يهوذا من السبطِ الذي لم يتكلمْ عنهُ موسى بشيءٍ من جهةِ الكهنوت* وممَّا يزيدُ الأمرَ وضوحًا أنَّهُ يقومُ على مثالِ ملكيصادقَ كاهنٌ آخرُ غيرُ منصوبٍ حسبَ ناموسِ

نبوءة سمعان

«إنَّ الشارق من الآب قبل الأزل، وفي آخر الأزمنة، من مستودع بتولي، قد حملته إلى الهيكل الأم التي لم تعرف زواجاً. والواضع الشريعة في طور سيناء، قدّمته للكاهن الشيخ الصدّيق، الموحى إليه أن يعاين الرب، خاضعاً لرسوم الشريعة. فلما تقبّله سمعان على ذراعيه ابتهج هاتفاً: ان هذا هو الإله السماوي المساوي للآب في الأزلية والمنقذ نفوسنا» (من صلاة غروب عيد دخول السيد إلى الهيكل).

في النص الإنجيلي المتلو علينا يوم عيد تقدمة المخلّص إلى الهيكل، أن سمعان (الذي قَبِلَ الطفل الإلهي على ذراعيه) خاطب العذراء القديسة متنبئاً فقال: «ها إنّ هذا قد جُعل لِسقوطِ وقيامِ كثيرينَ في إسرائيلَ وهدفاً للمخالفة» (لو ٢: ٣٤). والمقصود بـ«هذا» هو الطفل الإلهي نفسه الذي لما أخذه سمعان على ذراعيه، منذ هنيهة، بارك الله وقال «الآن تُطلِقُ عبدكَ يا سيّد حسب قولِكَ بسلام، لأنَّ عينَيَّ قد أبصرَتا خلاصكَ، الذي أعددته قدّام وجهِ جميعِ الشعوب، نورَ إعلانٍ للأمم، ومجداً لِشعبك إسرائيل». ولكن، هل يناقض سمعان نفسه، أو كيف يكون الخلاص المُعَدّ أمام الشعوب ونور الأمم ومجد إسرائيل، في الوقت عينه قد وُضع لسقوط كثيرين وهدفاً للمخالفة أوعلامة تُقاوَم؟

طبعاً لا تناقض البتّة في كلام هذا الصدّيق. فبعدما آن الأوان، في علم الله، لأن يبلغ الناموس كماله ولأن يستنير الذين لم يكن لهم بعد من ناموس، تجسّد ابن الله، أي دخلت الألوهة في البشرية، خلاصاً مُعداً أمام كل الشعوب. بمعنى آخر صارت إمكانية الخلاص متاحة، وبمتناول اليد للجميع، أمِنَ الذين آمنوا بالله قبلاً أو الذين ما عرفوه. القصد الإلهي، مشروع الله، هو أن يَخلُصَ الكل، أي أن لا يعود هناك عائق بين الإنسان وخالقه. هذا ما عناه سمعان الصدّيق إذ فَرِح لمّا أبصر خلاص الله مُعَداً لكلّ الشعوب. من جهة أخرى، بديهي أن الإنسان استعاد حرّيته، لما أزال تجسّدُ ابن الله العوائقَ والأسيجةَ بين الإنسان وخالقه. لعلّ هذا هو ما قصده سمعان إذ قال «الآن تطلق عبدك...» أي أن الإنسان الذي كان مُستعبَداً

العدد ٢٠١٤/٥

الأحد ٢ شباط

دخول ربنا يسوع المسيح

إلى الهيكل

اللحن السابع

إنجيل السَحَر العاشر

وصيةٍ جسديَّةٍ* بل حسبَ قوَّة حياةٍ لا تزول* لأنَّهُ يشهَدُ أن أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رِتبَةِ ملكيصادق.

الإنجيل

(لوقا ٢:٢٢-٤٠)

في ذلك الزمان صعِدَ بالطفلِ يسوعَ أبَواهُ إلى أورشليمَ ليقدِماهُ للرب (على حسب ما هو مكتوبٌ في ناموس الرب من أنَّ كلَّ ذكرٍ فاتِحةِ رَحْمٍ يُدعَى قُدُّوسًا للرب)، وليقرِّبا ذبيحةً على حسب ما قيل في ناموس الرب زوجَ يمامٍ أو فرخَيْ حمامٍ* وكانَ إنسانٌ في أورُشليم اسمُهُ سِمعانُ، وكان هذا الإنسانُ بارًّا تقيًّا ينتظِرُ تعزيةَ إسرائيلَ، والروحُ القدسُ كان عليه* وكان قد أُوحِيَ إليهِ من الروحِ القدس أنَّهُ لا يرى الموتَ قبل أن يعاينَ مسيحَ الرب* فأقبلَ بالروح إلى الهيكل. وعندما دخلَ بالطفل يسوعَ أبواهُ ليصنعا لهُ بحسب عادة الناموس اقتَبَلَهُ هو على ذراعَيْهِ وباركَ اللهَ وقال: «الآنَ تُطلِقُ عبدَك أيُّها السيّدُ على حسب قولك بسلام، فإنَّ عينيَّ قد أبصرتا خلاصَك الذي أعددتَهُ أمام وجوهِ جميعِ الشعوبِ نورَ إعلانٍ للأُممِ ومجدًا لشعبِك إسرائيل»* وكان يوسفُ وأمُّهُ يتعجبان ممَّا يُقالُ فيهِ* وباركَهما سمعانُ

صار الآن حرّ الإرادة، وحرّية إرادة الإنسان عند الله مُصانة. يأتي بنا هذا السياق إلى عبارة «إن هذا قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين» فنقرأ فيها أن مجيء ابن الله إلينا وبقاءه عندنا كمائدة خلاص ليس أحدٌ مقصياً عنها، يرهن خلاصنا بمدى اقتبالنا، إراديا وكيانياً، هذا الخلاص. أي بمدى التزامنا المسيح لا إيماناً نظرياً بل التزاماً مُعاشاً. سقوطنا أو قيامنا إذاً مسألة خيار وإرادة، ومَن يرفض اقتبال المسيح لا يمكنه إلا أن يسقط. لا لأن المسيح، الذي أتى ليُذبَح من أجل أن نخلص، ممكن أن يُسبّب سقوطنا بل لأنّه منذ أزال نور الله عتمة ضلالنا، ما عادت العتمة تَعذُرُنا. عن هذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن «الشمس نفسها التي تُنير وتُدفئ، تُحرق العيون التي تحدّق فيها بتحدّ وكبرياء. كذلك المسيح نفسه الذي افتدانا بدمه، مَن يصطدم به يتكسّر، يسقط». لعلّ عمق الرحمة في تدبير الله، الذي تنازل إلى حدّ اتخاذ طبيعتنا واقتبال آلامنا وحتى موتنا، هو ما جعل الذين يقاومون ويعارضون الخلاص الإلهي يسقطون. نقرأ في الإنجيل المقدّس كيف أن الفريسيين وقادة اليهود باتوا يزدادون شراً كلّما تكابروا على المسيح، وكيف انتهى يهوذا، لما هو أيضاً تكابر على المسيح.

لكن «هذا»، (المسيح المتجسّد)، لم يوضَع فقط للسقوط بل وأيضاً «لقيام كثيرين». على ما في نبوءة الشيخ الصدّيق. هذا «القيام» هو القيامة الآتي بها المسيح لكل الذين يعتنقونه، أي يجاهدون أن يتمثلوا به، في حبّه وفضائله وقداسته واتضاعه حتى موت الصليب، الذي هو في الأساس صليب خطايانا نحن. هذا، وكلُّ مَن يجاهد روحياً يعيش كل يوم اختبار الموت والقيامة، إذ بجهاد التوبة يموت كل يوم عن ذاته القديمة، عن تعلّقه بما ليس لله، ويقوم من هذا الموت إنساناً جديداً مخلوقاً «بحسب الله في البرّ وقداسة الحقّ» (أف ٤: ٢٤). ولعلّ أجمل ما في هذه القيامة أنّها طاقة لا تنفد وحركة لا تتوقّف ولا حدّ لها إذ إن الغاية منها أن يرتقي الإنسان من جديد إلى الكمال، إلى الحالة التي في الأساس خُلق من أجلها، أي إلى «قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣).

هذا وفي النبي إشعياء يقول الله تعالى «هأنذا أُؤَسِّسُ في صهيونَ حَجَراً، حَجَرَ امتحانٍ، حَجَرَ زاويةٍ كريماً، أساساً مؤسَّساً: مَن آمن لا يهرب» (٢٨: ١٦)، وحجر الزاوية الكريم هو المسيح، الذي في الوقت نفسه هو حجر الامتحان. أي مَن يصطدم به يتحطم، ولكن مَن يؤسّس عليه يرتفع بناؤه صلباً متيناً. بمعنى آخر من التزم المسيح أساساً وحيداً لحياته، يجهد كل يوم في أن يدفع بخطاياه وأهوائه وأفكاره التي ليست من الله لتصطدم بحجر الامتحان، أي بالحقّ الذي هو المسيح، فتتحكم هذه كلّها وتسقط. صحيح أن جهاد التوبة غالباً ما يكون مؤلماً أو محزناً، فما نريده أن يتحطّم فينا كأنّه صار جزءاً منّا. لكن ولأن «مَن آمن لا يهرب»، فإن ألم التوبة وحزنها لا يخيف المؤمن إذ هو يعرف الحقّ ويعرف أنّ الحق سوف يحرّره (يو ٨: ٣٢). ما أن أبصر سمعان الشيخ الطفل وعرف بوحي الله أنّه المخلّص، شعر بقيوده القديمة تكسرت، فأنشد لله قائلاً «الآن تطلق عبدك أيها السيد».

وقال لمريم أُمِّهِ: «ها إنَّ هذا قد جُعل لسقوطِ وقيامِ كثيرين في إسرائيل وهدَفًا للمخالفة* وأنتِ سيجوزُ سيفٌ في نفسِك* لكي تُكشَفَ أفكارٌ عن قلوبٍ كثيرة* وكانت أيضًا حنَّةُ النبيَّةُ ابنةُ فَنوئيلَ من سبطِ أشيرَ* هذه كانت قد تقدَّمت في الأيَّام كثيرًا وكانت قد عاشت مع رَجُلِها سبعَ سنين بعد بكوريَّتها. ولها أرملةً نحوَ أربعٍ وثمانين سنةً لا تُفارقُ الهيكلَ مُتَعبّدةً بالأصوام والطلبات ليلاً ونهارًا* فهذه قد حضرَتْ في تلك الساعةِ تشكرُ الربَّ وتحدّثُ عنهُ كلَّ مَنْ كانَ ينتظِر فداءً في أورُشليم* ولمَّا أتمُّوا كلَّ شيءٍ على حسبِ ناموسِ الربِّ، رجعوا إلى الجليل إلى مدينتِهم الناصرة* وكان الصبيُّ ينمو ويتقوَّى ممتلئًا حكمةً وكانت نعمةُ الله عليه.

تأمل

«في ذلك الزمان صعِد بالطفل يسوعَ أبواهُ إلى أورشليم ليقدّماه للربّ» (لو ٢:٢٢).

في الواقع بعد ولادة المخلّص من العذراء، وبعد الختانة في اليوم الثامن بحسب الشريعة الموسوية، يصعدون به ليُقدّم ضحيّة بحسب ناموس الرب.

أرأيتم كيف ان صانع الناموس وسيّده صار طائعاً للناموس؟ وماذا

سمعان الشيخ والترجمة السبعينية

«الآن تطلق عبدك يا سيّد حسب قولك بسلام، لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدّام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو ٢: ٢٩–٣٢). غالباً ما نسمع في صلواتنا هذه الكلمات التي تفوّه بها سمعان الشيخ عندما تقبّل في الهيكل بين يديه المسيحَ مقدَّماً من أمِّه على حسبِ ما طلب الرب من موسى قائلاً: «قدِّس لي كلَّ بكرٍ كُلَّ فاتحِ رَحِمٍ من بني إسرائيلَ مِنَ الناسِ ومن البهائمِ، إنَّه لي» (خر ١٣: ٢).

ما الذي جعل سمعان الشيخ يقول هذه الكلمات عند رؤيته الربّ؟ متى كلّمه السيّد؟

يخبرنا القديس كيرلّس الأورشليمي (القرن الرابع) أنّه عند موت الإسكندر الأكبر، ملك مقدونيا، قُسِّمَت إمبراطوريّته إلى أربع إمارات: بابل ومقدونيا وآسيا ومصر. وكان أحد فراعنة مصر (٢٨٥–٢٤٧ ق.م.)، ويدعى بطليموس الثاني فيلادلفوس، واسع العلم ومغرماً بجمع الكتب من كلّ بقعة بوساطة أمين مكتبته ديمتريوس دي فالير. فلمّا سمع عن الكتاب المقدّس الذي يحوي الشريعة والأنبياء، رأى من الحكمة أن يحصل عليه ممّن كان في حوزتهم، لا بالقوّة، إنّما بالهدايا والوسائل الوديّة، لأنّه كان يعلم أنّ ما يؤخذ عنوةً لا يكون سليماً، وأنّ ما يُقدّم بطيبة خاطر هو الذي يكون صحيحاً. فأرسل إلى أليعازر، رئيس الكهنة في ذلك العهد، هدايا كثيرة لهيكل أورشليم، وطلب إليه أن يوافيه بستّة شيوخ من كلّ سبط من أسباط إسرائيل الإثني عشر، لترجمة الكتاب. ثمّ، لكي يتأكّد من أنّ الكتب كانت إلهيّة، وأنّ المترجمين لم يتّفقوا معاً مقدَّماً، وضعهم في جزيرة تُدعى «فاروس» بالقرب من الإسكندرية، وأعطى لكلّ منهم منزلاً وكلّفه بترجمة جميع الكتب. ولمّا أتمّ هؤلاء الترجمة بعد إثنين وسبعين يوماً، قارن الملك بين جميع التّراجم التي تمّت في أماكن مختلفة، فوجدها مطابقةً بعضها لبعض لا في المعنى فقط بل وفي العبارة، إذ لم تكن تحتوي على كلمات مبتدعة ولا على سفسطات بشريّة، بل على ترجمة صادقة لأقوال الروح القدس.

ما دخل الشيخ سمعان القابل الإله في رواية الترجمة السبعينيّة (نسبةً إلى السبعين شيخاً الذين قاموا بالترجمة) للعهد القديم؟ إنّ سمعان الشيخ كان واحداً من السبعين حكيماً الذين أرسلهم المجمع اليهودي إلى الفرعون بطليموس الثاني لترجمة الأسفار المقدّسة إلى اللغة اليونانية.

فيما كان الشيخ سمعان يترجم سفر إشعياء النبيّ، قرأ العبارة القائلة: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً» (إش ٧: ١٤). فكّر في أنّ كلمة «العذراء» هي غير دقيقة وهمّ بتغييرها بكلمة «المرأة». في تلك اللحظة، ظهر له ملاكٌ وأمسك بيده قائلاً: «سوف تعاين إتمام هذه الكلمات. إنّك لن تموت قبل أن تعاين المسيح الربّ مولوداً من عذراء نقيّة وبريئة من كلّ عيب».

عاش الشيخ منذ تلك اللحظة مترقّباً المسيح المنتظر. في أحد الأيام، أوحى الروح القدس إليه بأن يذهب إلى الهيكل، فذهب وقد كان

تمبهذا؟ جعل في ذلك كلّه طبيعتنا مطيعة للآب، وشفى معصيتنا محوّلاً اللعنة إلى بركة. أي كما أنّ طبيعتنا كلّها سقطت مع آدم هكذا أيضاً خلُصت طبيعتنا في المسيح. كما أنّنا اتّخذنا عن طريق آدم الأرضي وجودَنا واتّجهنا إلى الأرض ورُمينا في الجحيم، هكذا عن طريق آدم السماوي، حسب الرسول، دعينا من جديد إلى السماء واستحققنا المجد والنعمة التي هناك. لكن الآن نشترك بهذه النعمة سرّيًّا لأنّه يقول «حياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيحُ حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً كلكم معه في المجد» (كو ٣: ٣). «أنتم كلكم» أي الذين أصبحوا أبناء بحسب المسيح عن طريق الروح وأظهروا أنفسهم أولاده الروحيين عن طريق الأعمال...

يتوجّه كلام الناموس إلى الوالدين، وكذلك إلى المولود منهما... هنا لا يوجد والدان بكل معنى الكلمة بل أم فقط وهي عذراء، ويوجد أيضاً ولد جُبِل به بدون زرع، ولم يكونا بحاجة إلى تطهير، ومع ذلك جاءوا إلى الهيكل طاعة للناموس، جاء السيّد لكي يعيدَ الطبيعة العاصية فاتخذ المسؤوليّة بسبب المعصية، على عاتقه.

القديس غريغوريوس بالاماس

ذلك اليوم هو اليوم الأربعون بعد ميلاد المسيح، حيث كانت العذراء مريم الفائقة القداسة مع يوسف خطيبها وحافظها قد جاءا بيسوع إلى الهيكل لإتمام الناموس اليهودي الذي تحدّثنا عنه في البداية.

عندما شاهد الشيخ وصولهم إلى الهيكل، أوحى إليه الروح القدس بأن يذهب إلى الهيكل، فذهب وقد كان ذلك اليوم هو اليوم الأربعون بعد ميلاد المسيح، يوم كانت العذراء مريم الفائقة القداسة مع يوسف خطيبها وحافظها قد جاءا بيسوع إلى الهيكل لإتمام الناموس اليهودي الذي تحدّثنا عنه في البداية.

عندما شاهد الشيخ وصولهم إلى الهيكل، أوحى إليه الروح القدس بأنّ الطفل المحمول هو نفسه المسيح المنتظَر مخلّص العالم، فحمل الشيخ الصبيّ وقال كلماته الشهيرة: «الآن تطلق عبدك يا سيّد حسب قولك بسلام...». ثمّة مخطوط من المجموعة اليونانيّة يحمل الرقم ٤٦ يحتوي على كلام موجَّه إلى سمعان الشيخ، نقرأ فيه: «تقبّل الطفل المولود قبل آدم، الذي سيحرّر سمعانَ من هذه الحياة وينقله إلى الحياة الأبديّة».

رقد الشيخ سمعان القابل الإله عن عمر هائل، إذ يقول التقليد إنّه عاش ٣٦٠ عاماً. نُقِلت بقاياه إلى القسطنطينية في القرن السادس. صلواته تحفظنا، آمين.

في الصلاة

تكلم الأب يوحنا الكوخي عن النفس التائبة قائلاً: إذا التجأت النفس باستمرار إلى الله بالصلاة لا تقدر الأبالسة ولا الأهواء أن تتغلب عليها. إيضاحاً لهذا الكلام جاء بالمَثَل التالي:

كانت امرأة فاسقة تعيش في مدينة، وكان لها زبائن كثيرون. في أحَدِ الأيام أتى زعيم المدينة وقال لها: أعطيني وعداً بأنك ستعيشين عفيفة منذ الآن فأتخذك زوجة لي. وعدته بذلك فأخذها إلى بيته. لكن عشاقها راحوا يفتشون عنها فلم يجدوها. فقالوا فيما بينهم، لنذهب إلى بيت الرئيس دون أن ندخل إليه لئلا يعاقبنا ولنقف بقربه ونصفّر لها، لعلها تسمع الصوت وتنزل إلينا فنرفع المسؤولية عنا. بعدما اتفقوا على ذلك ذهبوا وأخذوا يصفّرون لها، فلما سمعت الصفير أقفلت أذنيها ودخلت إلى القسم الداخلي من البيت وأغلقت الأبواب. أما هم فإذ رأوا أنها لم تسمعهم رجعوا خائبين.

إن الفاسقة، قال الأب مفسراً هذا المَثَل، هي النفس، والعشاق هم الشياطين والرئيس هو المسيح، والبيت الداخلي هو ضبط الذهن وصيانته من الداخل صيانة جيدة.

أضاف ان النفس التي تحاربها الشياطين من خلال الأهواء، إذا تراجعت واتخذت احتياطاً لذاتها ملتجئة إلى الله بالصلاة، لا يقوى عليها المحاربون إطلاقاً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb